وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الدراسات العليا / دكتوراه

المادة: استشراق

محاور الاستشراق

أ. د. مثنى عباس عواد

محاور الاستشراق:

شملت أبحاث المستشرقين سبعة محاور رئيسية هي:

١- **الدراسات الإسلامية:** هذا الجانب يوضح اهتمام المستشرقين في القيام بهذه الدراسات، والتي تنشر في مؤتمراتهم ومنشوراتهم ودورياتهم الكبرى، وما اعدوه من فهارس للمخطوطات والمطبوعات والمكتبات العربية وغيرها، وهنا لا بد أن نشير الى مجموعة من المستشرقين المتمرسين أمثال بروكلمان وجب وبرنارد لويس وكلود كاهين وجبراييللي وغيرهم، الذين استوعبوا في دراساتهم الكليات في مجرى التاريخ الإسلامي، ورسموا الخطوط العامة التي تنضم الجزئيات وتحويها، وهذا ما نفتقر إليه في دراساتنا فلم يعنى إلا القليل منا بهذا المنهج في الكتابة التاريخية.

٢- **الدين الإسلامي كعقيدة:** قدم المستشرقون ضمن هذا المحور تصوراتهم ثم درسوا سيرة الرسول الكريم وفق ما جاء بكتب السيرة والتاريخ من تراثنا العربي، ثم بدأوا بالمزاوجة بين ما يكتبون وبين ما ورثوه من عهد اللاهوت المضاد للإسلام، كما تناولوا القرآن الكريم بالدرس على شكل قراءات أو تفاسير أو ترجمات الى لغاتهم، وفي هذا كله لا ينسون التجريح بنقدهم، وهذا ما قادهم إلى دراسات لا تعد حول الجدل الديني والعقيدة والاتجاهات المختلفة لعلم الكلام والتصوف والغلو الديني.

٣- **الإسلام كشريعة:** في هذا المجال نجد أن هناك اتجاهين: اتجاه يساير الحاجة الماسة للاستشراق في عصر اللاهوت المضاد للإسلام، وآخر يتفق وعصر الاستعمار المضاد للعروبة وحركات النهضة الاسلامية، ودراساتهم للشريعة تنحصر في بيان مصادرها، ودراسة الفقهاء واتجاهاتهم، والعمل على تعميق الخلافات في اجتهاداتهم سواء كانت في الفتاوى أو المواقف من أهل الذمة أو الموقف الشرعي من الذنوب والحدود وتفاصيل ذلك، كما عملوا على تعميق الخلافات في الآفاق المذهبية الخاصة، فتناولوا موضوعات العبودية والشهادة والملكية والأوقاف، وهدفهم من ذلك الوصول إلى جزئيات تتصل بصلب الحياة الشرعية للمسلم، وإشغالهم بها وابعادهم عن الأصول.

٤- **التاريخ العربي الإسلامي:** ركز المستشرقون همهم ووجهوا دراساتهم إلى كتب التاريخ ونشرها وبيان أصولها ومصادرها وأحداثها، والذي يرمي إليه بعضهم تقديم صور مشوهة عن المجتمع الإسلامي اجتماعية وسياسية واقتصادية، يكمن في بعضها تزوير الحقائق

واضحة، أو تحريف لظواهر بارزة، أو تنكيل بالعرب، ولذلك جاءت دراساتهم في هذا المحور قائمة على تقسيمات اقليمية، ومذهبية وطائفية وعنصرية. كما نشاهد من أبرز دور القومية البربرية أو الفارسية أو التركية واعطائها امتيازاً خاصاً، وهذا كله يؤدي الى تفكيك وتمزيق الأمة تاريخياً، وهذا لا يعني وجود فئة من المستشرقين الذين درسوا التاريخ الإسلامي دراسة جادة بعيدة عن الغرض سوى العلم والوصول إلى الحقيقة.

٥- **اللغة العربية وآدابها:** درس المستشرقون في هذا الاتجاه أصول اللغة العربية وعلاقتها باللغات السامية، وقاموا بدراسات مقارنة لإظهار الآثار الحامية والسامية المتداخلة في أصول اللغة العربية، ولذلك اتجه بعضهم لدراسة فقه اللغة وقواعدها وعلم العروض والمعجمية العربية واقتباس اللغة من اللغات الأخرى في الألفاظ وأسماء الأشخاص، وهذا ما يدعو الاستشراق لكي يوضح اللغة الحديثة فيدرس اللهجات المحلية والاقليمية، وبيان الفولكلور على أنه إرث قابل للنمو ليحل محل الخصائص العامة المشتركة في مقومات العروبة والإسلام ووفق هذا الطريق جاءت بعض دراسات المستشرقين في الادب العربي، فتناولوا أدب وسير الأدباء والشعر والشعراء ونوازعهم وأصولهم ومؤثراتهم وعقائدهم، وكان هدف بعضهم الوصول إلى فرضيات في علم الاعراق والانثروبولوجيا.

٦- **علوم الحضارة والنظم العربية الإسلامية:** لقد تناول المستشرقون في دراساتهم مختلف العلوم كالفلسفة والحساب والفلك والتنجيم والأنواء والكيمياء وعلم الأحياء والطبيعة والري وعلم المعادن والطب والفنون وغيرها من صنوف المعرفة التي شاعت في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وبفضل ما يمتلك المستشرقون من قدرة على البحث في هذه المحاولات، ومنهجية علمية، استطاعوا ربط هذه العلوم بالأصول اليونانية، وأحياناً بأصول غير عربية ساسانية وبيزنطية معبرين عن اتجاههم العام الذي يجانب الحقيقة، فدرست جماعة منهم انتقال العلوم العربية الى الغرب بطريقة توحي بلا شك عن رغبتهم لإحياء التراث اليوناني عن طريق العربية، أو لإحياء التراث العبري عن طريق العربية، وهذا ما يوضح بجلاء قصدهم، ويبين مدى تعامل المستشرق مع العلوم العربية الإسلامية التي حاولوا أن يثبتوا بأنها لا تمت إلى العصر الحديث عصر الحضارة الاوربية بصلة، بينما أبانت جهود الأستاذ فؤاد سيزكين وغيره من العلماء المسلمين والمستشرقين مدى أهمية التراث الحضاري العربي ودوره في النهضة الأوربية.

٧- **تحقيق التراث العربي الإسلامي:** لقد قام العديد من المستشرقين ومنذ عهد مبكر بتحقيق ونشر المصادر العربية الإسلامية الأصيلة مدفوعين بدوافع عديدة بعضها علمية موضوعية وبعضها دينية وتبشيرية أو سياسية، ومن أجل تحقيق الأهداف المرسومة من قبل أصحاب القرار السياسي أو الديني او الاقتصادي كل حسب ارتباطاته، ولا ينكر أن الباحثين المسلمين استفادوا من هذه المخطوطات المحققة والمنشورة وخاصة تلك المخطوطات المحققة تحقيقاً علمياً دقيقاً، والتي تشمل عدداً كبيراً ومهماً من المصادر التاريخية العربية الأصيلة، على أن بعضها أُعيد تحقيقه من قبل المحققين العرب والمسلمين بصورة أكثر دقة وحرص، خاصة وأن المحققين العرب أكثر تفهماً للنصوص العربية.

ولا بد أن نذكر أن مدير مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن الأستاذ بيرسن (Pearson) وضع فهرساً عاماً للمقالات المنشورة عن الإسلام في المجلات التي صدرت من (١٩٠٦ – ١٩٥٥) بعنوان (Index Islamicus) نشر سنة ١٩٥٨م وضم ستاً وعشرين ألف مقالة، ثم اتبعه بملاحق الأول منها سنة ١٩٦٢، ويتضمن المقالات المنشورة بين (١٩٥٦ – ١٩٦٠) وعددها حوالي سبعة آلاف واربعمائة مقالة، والملحق الثاني ويتضمن المقالات من (١٩٦١ – ١٩٦٥)، وعددها أكثر من ثمانية آلاف مقالة، ثم أصدر المؤلف نفسه ملاحق جديدة حول الموضوع، وتدل الأرقام أعلاه إلى تزايد ما يكتب عن الإسلام والمسلمين في اللغات الأوربية.

كما نشر سوفاجيه (Sauvaget) الفرنسي كتاباً بعنوان (مقدمة لتاريخ الشرق الإسلامي) يضم عناوين الكتب والمراجع عن الإسلام سنة ١٩٤٢، ثم صدرت للكتاب نفسه طبعة جديدة مزيدة باللغة الانكليزية سنة ١٩٦٥م، وكتب الاستاذ برنارد لويس فصلاً خاصاً عن المراجع المتعلقة بتاريخ الإسلام بعنوان العالم الإسلامي ضمن الكتاب الموسوم (Guide to Historical Literature) سنة ١٩٦١م.

وكتب إيرا لابيدس (Lapidus) في مقدمة كتابه الموسوم (A History of the Islamic Societies) قائمة طويلة تضمنت أشهر ما كتب من مراجع حديثة ومقالات علمية مهمة عن الإسلام والمسلمين حتى تاريخ صدور الكتاب سنة ١٩٩٤.

ومن المعروف أن كل المقالات في دوائر المعارف والكتب المرجعية تحتوي في نهاية كل مقالة على ثبت بالمصادر الأصيلة والمراجع الحديثة والمقالات العلمية المعتمدة للموضوع.

إنه لمن الصعوبة بمكان إصدار حكم عام على منهج المستشرقين في دراسة التاريخ والتراث الإسلامي، فالمستشرقون ليسوا فئة واحدة ونزعاتهم متنوعة، كما وأن العوامل المؤثرة عليهم مختلفة، ولذلك تغايرت أحكامهم حول الظاهرة الواحدة، فهي تختلف من مستشرق إلى آخر، بل أن احكام المستشرق ذاته قد تتغير أو تتعدل من فترة إلى أخرى.

والواقع أن الاوربيين انفسهم ومنهم المستشرقين قد كتبوا وانتقدوا منهجهم في دراسة الإسلام وتاريخه قبل أن ينتقده الباحثون العرب والمسلمون نذكر منهم:

- هاملتون جب في كتابه (المحمدية).
- برنارد لويس في (مساهمات البريطانيين في الدراسات العربية)، لندن، ١٩٤١.
- ريشتارد ساثرن في (صورة الإسلام في أوربا العصور الوسطى)، بيروت، ١٩٨٣.
- نورمان دانيال في (الإسلام والغرب)، ١٩٦٠.
- بيتر هولت (Holt) في مقدمة كتاب (تاريخ الاسلام لكمبرج) حيث أكد على تطور الموقف الأوربي تجاه الإسلام من حيث النظرة والموضوع.
- مكسيم رودنسون (Rodinson) في (صورة العالم الإسلامي في أوربا)، الفصل الأول من (تراث الإسلام)، الطبعة الثانية.
- مونتكمري وات (Watt) في مقدمة كتابه (محمد في مكة) حيث يستعرض مصادر السيرة وموقف المستشرقين منها.
- مارغليوث (Margolioth) في مقالته الموسومة (محمد) في دائرة المعارف البريطانية سنة ١٩١٠، مجلد ١٧.

هذا ولا ننسى نقد المستشرقين لآراء بعضهم البعض الآخر في الكتب المتخصصة التي يصدرونها أو في المجلات التاريخية، كما فعل نولدكه (Noldeke) في نقده لـ لامنس، وكما فعل وات في نقده لكل من لامنس وباترشيا كرون (Crone)، وكما فعل سارجنت في نقده لباتريشيا كرون ووتزبره، وكما فعل مارغليوث في نقده لـ كامينيه وبوهل، وكما فعل كازانوفا (Casanova) في نقده لـ لامنس وكما فعل غيرهم كثير.